ملامح الاتصال الوثائقي عند ابن بشكوال:

قراءة منهجية ببيليوغرافية.

Fatures documentary contact with Ibn Bachkwal

د.ة. صورية متاجر

جامعة سيدي بلعبا س

تاريخ الاستلام : 2016/07/03 تاريخ القبول:2016/09/04

Abstrat:

The book "relevant" to the son of Ibn Bachkwal To continue to book, "the scientists history" to the Ibn faradi, and an extension of what in the book of controls most important commitment by talking about the Andalusia scientists and arrivals of Andalusia from strangers and delinquency of exclusive data concerning scientific march translator them, mentioning the names of their elders and the names of their students and what they knew in their scientific and social. The importance of the book and "relevant" in the period in which they talked about.

key words:
Ibn Bachkwal- Ibn faradi- Andalus- Scientists

يعد كتاب" الصلة" لابن بشكوال[1] مواصلة لكتاب "تاريخ العلماء" لابن الفرضي، [2]و امتداد لما في الكتاب من ضوابط أهمها الالتزام بالحديث عن العلماء الأندلسيين و الوافدين على الأندلس من الغرباء و الجنوح للاقتصار على معطيات تتعلق بالمسيرة العلمية للمترجم لهم، بذكر أسماء شيوخهم و أسماء تلاميذهم و ما عرفوا به في حياتهم العلمية و الاجتماعية. و تكمن أهمية كتاب "الصلة" في الفترة التي تحدث عنها ، و هي النصف الثاني من القرن الرابع و كامل القرن الخامس و النصف الأول من القرن السادس للهجرة، و هي فترة اضطراب و محن و نكبات ارتبطت باسم "الفتنة".

و إذا كنا نجد في نهاية الجزء الأول و نهاية الكتاب ما يدل على أن الفراغ من كتابته كان سنة 534هـ، و هو ما ذهب إليه ابن أبي شنب و هويسي ميراندا[3].فإن الكتاب ما ينم عن الفترة الزمنية التي يتصل بها تجاوزات هذا التاريخ، إذ نجد إشارات إلى سنة 536هـ و سنة 537هـ، و سنة 538هـ، و سنة 542هـ، و سنة 544هـ، و سنة

546هـ، و سنة547هـ، و سنة 551هـ، و سنة 564هـ/1169م، فهل هي من زيادات التلاميذ أو الوراقين، أم من زيادات المؤلف الذي توفي سنة 578هـ. و مهما يكن من أمر فإن عددا من المعطيات يتجاوز التاريخ النهائي المتفق عليه– و هو سنة 534هـ– بما يقارب ثلاثين سنة.

توفي ابن بشكوال سنة 578هـ/1183م، لكن تراجمه البيوغرافية وصلت إلى غاية 564هـ/1169م،و تناقصت في السنوات الأخيرة من الكتاب،(عشرات بعد سنة 545هـ). لذلك تم الاعتماد على الفترة التي تتراوح ما بين 525–545هـ/1131–1150م، لكي نحصل على كثافة من العلماء تكون قابلة للتحليل، إذ اعتمدنا على تراجم 300 عالم من مجموع : 1544، دون الاهتمام بالتراجم الأخرى التي تقتضي بيانات أوفر للمترجم لهم. ولكنها تظل محدودة نسبيا،و هذه الإجراءات المنهجية سادت في المجالين الزماني و المكاني للأندلس. لأننا إذا وظفنا جميع التراجم الموجودة "بالصلة " ، و قتها سنكون أمام صعوبة منهجية ، و بالتالي أمام بيبليوغرافيا أضخم .وعليه تم الصعود إلى مرحلة (525–545هـ/1131–1150م) لتأكيد التحليل الببليوغرافي لعمليات الاتصال الثقافي والفكري بين العلماء.

إن الأزمة المرابطية بالأندلس جاءت بعد انهزامهم في شرق الأندلس عند قرية قلبيرة (Culera) سنة (523هـ/1129م) أمام القوات المسيحية ، و تأسيس دويلات طوائف جديدة مابين (539–549هـ/1144–1154م).لقد تم حساب معدلات الحياة عند علماء الأندلس على ضوء ابن بشكوال، مستبعدين حياة المشاق ، و الجهاد و الحروب ، و الفتن، و العلماء الشهداء، أو الذين تعرضوا للاغتيالات و السجن و النفي من طرف الحكام.

و على أساس ذلك قسمنا معدلات الحياة حسب تأريخ ابن بشكوال للعلماء و الحياة الفكرية التي عاشتها الأندلس إلى ستة مراحل، و هي مبينة حسب الجدول التالي:

جدول رقم(1) معدل حياة العلماء حسب الفترات الزمنية عند ابن بشكوال:

الفترة	السنوات	معدل الحياة
01	420-440هـ	78-79 سنة
02	440-460هـ	73-74 سنة
03	460-480هـ	73 سنة
04	480-500هـ	75-76 سنة
05	500-525هـ	75 سنة
06	525-545هـ	75 سنة
المعدل العام		75 سنة

هذه الأرقام ما هي إلا أرقام معلوماتية نموذجية، لأن ابن بشكوال لم يذكر في " الصلة" معطيات حول الاغتيالات السياسية للعلماء. من هنا نستنتج أن حياة العالم في الأندلس خلال القرن الخامس و أوائل القرن السادس الهجري كان معدل الحياة فيها يتراوح ما بين 70 و 75 سنة.

لقد وصل عدد العلماء الذين قام ابن بشكوال بالترجمة لهم إلى 1544 عالما، ما بين محدث و فقيه و قاض و أديب، و هذا الخليط يوضح أن ابن بشكوال كان له إدراك واسع و شمولي لمفهوم العالم. و قد وجه عنايته نحو الجانب الأخلاقي و السلوكي للعلماء، و قصص نشأته و مراحل دراسته و الشيوخ الذين روى عنهم، و الكتب التي ألفها، و رتب المترجمين على حروف المعجم، و ختم مؤلفه بـ 16 ترجمة للنساء العالمات.حاولت القيام بإحصاء لأصول المترجم لهم في الصلة رغم الصعوبات المنهجية، حيث احتل ذوو الأصول القرطبية مركز الصدارة قبل طليطلة و إشبيلية، نظرا لانتماء مؤرخنا لهذه المدينة، و نظرا للدور السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي الذي لعبته خلال هذه الفترة، و الأحداث الخطيرة التي عرفتها المنطقة.

جدول رقم(2) نسبة أصول المترجم لهم في الصلة:

المدينة	قرطبة	طليطلة	إشبيلية	سرقسطة	ألمرية	مرسية	شاطبة	غرناطة	بطليوس	بلنسية	المجموع
عدد المترجم لهم	536	184	129	61	43	25	23	22	22	13	1058
النسبة المئوية	34.78	11.54	08.37	03.95	02.75	01.62	01.45	01.42	01.42	0.64	% 100

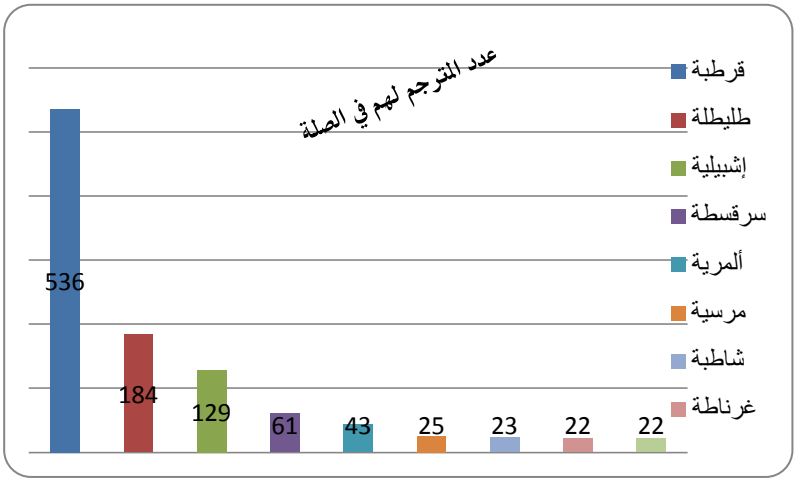

رسم بياني رقم(3) عدد المترجم لهم في الصلة :

ما تجب الإشارة إليه في هذا الصدد ، أن هناك صعوبات اعترضت هذا الإحصاء الكمي:

- غياب ذكر المكان سواء الولادة أو الوفاة في عدد كبير من التراجم.
- صعوبة تحديد مكان انتماء المترجم[4].
- الاقتصار على ذكر مكان الوفاة دون ذكر مكان الولادة[5].

- ذكر اسم العالم بصفتة أندلسي من دون تحديد بلده، مما يحتم علينا البحث في مصادر أخرى[6].

إن محتوى كتاب الصلة من خلال هذا العرض أثبت صورة للتعبير التاريخي، و يرى ابن عبود[7]،" بأن كتب السير و التراجم تعد نوعا من الكتب التاريخية التي لم تعط العناية الكافية بصفتها نوعا أندلسيا خاص."و السؤال الذي يطرح هو: ماذا قدمت لنا الصلة من معلومات حول موضوع العنف

و المعارضة بالأندلس خلال الفترة التي أرخت للأندلس؟

- يقدم لنا كتاب" الصلة"، معطيات عن الأسر الحاكمة و صراعاتها حول السلطة.
- قدمت لنا معطيات عن السجن والنفي و التغريب و الفرار.
- تعرض كثير من الفقهاء و القضاة لمختلف أشكال العنف، بسبب معارضتهم لأنظمة الحكم أو ميولا تهم السياسية.

إن تطبيق المنهج الكمي على مؤلف ابن بشكوال من خلال المنهج السابق في مجال متوسط عمر العلماء المترجمين لهم، و التمركز السكاني، و معدل أمد الحياة، يجعلنا نقدم جدولا يبين بالكم أنواع مظاهر العنف الواردة بالصلة:

جدول رقم(4) مظاهر العنف الواردة عند ابن بشكوال

نوع العنف	القتل	الاغتيال	المثلثة	الذبح	السجن	التهجير– النفي–الفرار	المجموع
العدد	24	3	3	4	10	25	69

ما يلاحظ في هذا الجدول أن ابن بشكوال ركز على الجانب السلوكي و الأخلاقي للمترجم، فمظاهر العنف عند ابن بشكوال تمثلت في السجن: إذ تعرض لهذا النوع من العنف، حكاما و وزراء و قضاة و فقهاء، كابن الوليد بن جهور دون ذكر سبب الاعتقال و لا المدة[8].و قدم لنا معطيات عن المنافسة التي جرت بين يعيش بن محمد و أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري، اللذان انتهت إليهما رئاسة طليطلة، فدبر الأول محاولة اغتياله كي ينفرد بالسلطة، فتم ذلك ، وذكر ابن حيان أنه مات معتقلا بشنترين مسموما سنة 403هـ[9].

ذكر ابن بشكوال وفاة الوزير أبي الحسن مغيث[10] سجينا بإشبيلية سنة 469هـ/1077م في سجون بني عباد، عن سن تناهز 76 سنة.كما سجن بعض الفقهاء لميولاتهم السياسية المخالفة لنظام الحكم القائم، ففي سياق عام لسياسة علي بن حمود و التي استهدفت التخلص من الفقهاء و القضاة الذي يساندون الخلافة الأموية يشير صاحب الصلة إلى سجن قاضي الجماعة بقرطبة أبي بكر يحيى بن وافد اللخمي(ت: 404هـ)[11]. كما توفي منكوبا في السجن حسب ابن بشكوال الفقيه عبد الله بن سعيد بن المحتشم (403هـ/1012م) و أسلم إلى أهله في قيوده[12]. كما أن قاضي الجماعة بقرطبة حسن بن محمد بن ذكوان(ت: 451هـ/1059م) فرضت عليه الإقامة الجبرية من طرف أبي الوليد
محمد بن جهور[13]، بينما سجن محمد بن أحمد بن مخلد[14](ت: 470هـ/1077م) منطرف ابن عباد بعد طرد بني ذي النون من قرطبة.

نستخلص أن السجن مثل أحد مظاهر العنف التي تناولها صاحب الصلة و التي شملت مختلف الشرائح الاجتماعية، بل أكثر من ذلك أشار إلى حالات الوفاة التي تمت ، بالرغم من إغفال حالات، و عدم تفصيل حالات. لقد أورد ابن بشكوال 24 ترجمة لفقهاء و أدباء تعرضوا للقتل لا سيما أثناء الفتنة و بعدها خصوصا عند دخول البربر قرطبة سنة 403هـ/1012م.منهم: أبو عمران موسى الزاهد(ت: 378هـ)[15]،

و أحمد بن مطرف الجهني(ت: 400هـ)[16]، و أبو عثمان سعيد بن الفزاز(ت: 400هـ)[17]. و في عهد القاسم بن حمود قتل قاضي رية عريب بن مطرف من أهل قرطبة(ت: 409هـ/1018م)[18].

تناول ابن بشكوال إحدى أكبر الجرائم التي ارتكبها المعتضد بالله، و المتمثلة في قتله الفقيه العالم عمر بن الحسن الهزوني من أهل إشبيلية [19]" كان متفننا في العلوم... قتله المعتضد بالله عباد بن محمد ظلما بقصره بإشبيلية و دفنه به ليلة السبت 16 ربيع الثاني 460هـ، و تناول قتله بيده، و دفنه بثيابه و قلنسوته و هيل عليه التراب داخل القصر من غير غسيل و لا صلاة رحمة الله."و من أشهر الاغتيالات التي أشار إليها ابن بشكوال و التي تمت في العهد المرابطي، اغتيال قاضي قرطبة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن الحاج[20] في 25 صفر عام 529هـ، حيث انتهز القاتل فرصة سجود جميع المصلين ظهر الجمعة، و قام بطعن الضحية ظلما.

نستخلص أن الصلة تقدم لنا معطيات لا بأس بها عن التصفية الجسدية التي شملت عدة فقهاء و قضاة بمختلف مناطق الأندلس كقرطبة و طليطلة و إشبيلية. لقد صارت القوى المتصارعة بحاجة إلى سند شرعي يدعم صلاحيتها في حكم البلاد، هذا السند تجلى فيكثير من الأحيان في العنف و التنكيل و القتل.

في ضوء كتاب الصلة يمكننا استخراج عناصر أساسية في إطار الاتصال الوثائقي للحركة الفكرية في عالم الأندلس، بحث إذا لامسنا العناصر الهامشية في الصلة لا نجد ذكر أحداث العالم الديني غير السني إلا في محطتين هما نحلة برغواطة[21].حيث ذكر ابن بشكوال أن خلفة بن تامصلت بن يحيى البرغواطي قدم قرطبة سنة 476هـ في أيام المأمون يحيى بن ذي النون لأخذ العلم في مجال القراءات[22].

و المحطة الثانية ذكره لمذهب ابن مسرة[23]، إذ ذكر عبد الوهاب بن منذر من أهل قرطبة[24]، الذي كان من أتباع مذهب ابن مسرة و انحرف عن الفقهاء المالكيين.

إن التمثيل البياني الرقمي تم جمعه من خلال 300 ترجمة نموذجية منتقاة من مجموع 1544 ترجمة مدونة في كتاب "الصلة" لابن بشكوال. و لأنه من الصعوبة بمكان نظريا غربلة كل التراجم بكمها الهائل، لمعرفة خصائص العلم و العلماء في الأندلس عبر قناة الاتصال الوثائقي في مجال الحياة الثقافية و الإنتاج الفكري.و بالنظر أيضا للتناقضات الموجودة داخل الصلة من جهة و التوزيعات الجغرافية للعلماء من جهة أخرى. لذا تم الاعتماد على هذا التجميع عبر مجال زمني محدد بفترات مابين 420–545هـ، و لأن هذا التجميع البيبليوغرافي و تصنيف التراجم كان مبنيا في ميدان الإجراء المنهجي على معطيات تم تحديدها حسب التجمع الجغرافي، و الرحلة ، و أماكن الاستقرار، و تاريخ المولد و الوفاة، و التخصص العلمي، على أساس التأليف و الإجازة. لذا كانت الاعتبارات التالية هي الإجراء الوحيد في هذه العملية:

- جمع و تصفيف المترجم لهم في جدول بيوغرافي عام على أساس : الإجازة– العمر– مكان الإقامة– تاريخ الوفاة– الإنتاج الفكري(مؤلفات– تخصصات علمية)– رحلة– مهنة– البلد– مكان الولادة.
- القيام بفرز على أساس الترتيب الكرونولوجي وفق تأريخ الصلة من القرن الرابع إلى أوائل القرن السادس الهجري بمراحل زمنية حددت سابقا.

لقد ذكرت "الصلة" بعض شيوخ الأندلس[25] عدة مرات في مجال الإجازة و الرواية و السماع، و في مراحل مختلفة، منها محمد بن عبد الله بن إبراهيم المري، المعروف : بابن زمنين[26] من أهل ألبيرة، توفي سنة 399هـ.ذكر 8 مرات مابين 420–440ه، و 6 مرات مابين 440–460هـ.و ذكر عبد الله بن أبي عمر بن لب الطلمنكي15[27] مرة خلال فترة 460هـ، و 24 مرة خلال 500هـ.أما الشيخ محمد بن مكي بن أبي طالب من أهل قرطبة(ت: 474هـ)، فذكر 8 مرات قبل 460هـ، و 26 مرة في 500هـ.و تكرر اسم العالم عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد البر النميري(ت: 450هـ)4 مرات في سنة 4601هـ، و ما بين 13 و 18 مرة خلال فترة

525هـ. و من بين الأمثلة حول العناصر التي تم الاعتماد عليها في مجال أنموذج الترجمة لـ 300 عالم ، ، نورد النماذج التالية:

جدول رقم(5)الإجازات و الرحلة و البلد و المهنة و التخصص العلمي في ضوء ابن بشكوال:

اسم العالم	البلد	المولد	الوفاة	المهنة	العمر	الإجازة	التأليف	الرحلة	المصدر
أحمد بن عفيف بن مريول الأموي	قرطبة	348هـ -	420هـ -	وثائقي و إمام	72 سنة	له إجازة و سماع	له تأليف آداب المعلمين أخبار القضاة و الفقهاء بقرطبة	المرية أيام الفتنة	ابن بشكوال: ترجمة: 75، ص 47
حماد بن عمار الزاهد	قرطبة	//	432هـ -	**قاض قرطبة أيام الحموديين**	100 سنة	//	//	المشرق	ابن بشكوال: ترجمة: 352، ص 140
سليمان بن محمد بن بطال	بطليوس	//	400هـ -	شاعر	//	//	المقنع في أصول الأحكام	ألبيرة	ابن بشكوال: ترجمة: 444، ص 172
عثمان بن سعيد الأموي	قرطبة	//	444هـ -	عالم في القراءات و الحديث	//	له إجازة و سماع	له تأليف كثيرة غير مذكورة	المشرق	ابن بشكوال: ترجمة: 879، ص 325

إضافة إلى ما ذكر عند دراسة الاتصال الوثائقي بين العلماء ،و الاعتماد على عمليات تجميع علماء الأندلس حسب مناطق توزيعهم الجغرافي وذكر تواريخ وفايتهم، وهذا بناء على ضوء تراجم ابن بشكوال. والجدول الذي بين أيدينا يبرز أعدادهم خلال الفترات الزمنية المذكورة في الصلة:

جدول رقم (6): توزيع عدد العلماء في الأندلس في ضوء ابن بشكوال:

تاريخ الوفاة / المناطق	ابن بشكوال						
	420هـ 440هـ	440هـ 460هـ	460هـ 480هـ	480هـ 500هـ	500هـ 525هـ	525هـ 545هـ	المجموع
قرطبة	93	43	40	38	44	42	300
إشبيلية	63	26	19	12	18	17	135
غرناطة	6	2	7	8	7	8	38
مالقة	6	8	6	5	3	4	32
المرية	14	18	27	17	14	16	106
مرسية	4	4	4	6	9	8	35
الثغر الأعلى	18	6	16	16	20	3	79
الثغر الأدنى	12	5	11	10	14	6	58

الثغر الأوسط	48	42	50	19	18	3	180
المغرب	6	3	5	12	10	13	49
المشرق	101	64	46	40	19	14	284

تعتبر الأرقام الواردة في الجدول، بيانات خام، يمكن استنتاج عناصر أساسية منها: إن الاعتماد على تواريخ وفيات العلماء، بواسطة أرقام المبينة في الجدول تعبر عن مرحلة الخلافة وهي تساعدنا على عملية الاتصال بين العلماء وتمدنا بمعلومات في غاية الأهمية.

إن إحصاءات العلماء في هذا الجدول تبين اختلال التوازن في بيانات الأرقام لهجرة العلماء داخل و خارج الأندلس، إذ أحصى ابن بشكوال علماء كثيرين. وربما هذا راجع بالدرجة الأولى إلى ما نتج عن حرب الاسترداد المسيحية منذ القرن 5هـ-11م، حيث اقتلعت العديد من المناطق الإسلامية، يدخل في إطارها أعداد العلماء بالنسبة للإحصائيات الأخيرة.ومن خلال استقراء الإحصاءات الواردة في الجدول، نلاحظ كثرة العلماء المهاجرين نحو المشرق والمغرب بمجموع 333 وهذا في المرتبة الثانية بعد العاصمة قرطبة بـ 300 عالم.

إن استقلالية الأندلس عن الخلافة العباسية منذ إعلان الخلافة الأموية سنة 316هـ/929م[28]، قد أعطى القدسية الروحية للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس حسب تعبير ابن خلدون[29]. وخاصة الابتعاد الجغرافي عن باقي العالم الإسلامي، بالرغم من عدم التصدي لشرعية الخلافة العباسية من طرف علماء الأندلس. إن قراءة متأنية للأرقام بخصوص الثغور [30]تجعلنا نستنتج نقصان رجال العلم في هذه المناطق، بسبب الاسترداد المسيحي للأراضي الإسلامية وهجرة العلماء داخل الأندلس وخارجها[31].

حاولنا رسم جدول للحياة الثقافية بالأندلس من خلال ما صوره لنا ابن بشكوال ، وهو ما يعبر عن اهتمامات الاتصال الوثائقي للحضارة العربية الإسلامية من خلال الحكم البيوغرافي للتراجم. وقد جمعنا في هذا الجدول حسب مخصصات المؤلفات الأندلسية مختلف العلوم السائدة وقتذاك، كالأدب، والحساب واللغة، والتاريخ والتراجم، وركزنا في هذا التجميع على كتاب الصلة بالدرجة الأولى.

و مما لا شك فيه أنه عند الدراسة الببليوغرافية للمؤلفين، نلاحظ سيطرت حقول علوم القرآن والحديث ثم الأدب في الدرجة الثانية، ومعها اللغة والشعر ثم التاريخ والحساب، وهناك تفضيل في العلوم التقليدية كأصول الفقه والتفسير ، ويلاحظ إهمال مطلق للتصوف والفلسفة والرأي والطب والحساب [32] .ويبقى رجال علم الحديث في مقدمة العلماء بالأندلس.

ومن خلال جدول المؤلفات الأندلسية، يتضح غلبة علم الحديث في مجال التأليف والكتابة على غرار العلوم الأخرى التي ارتبطت دوما بالشيوخ وانتقالهم في الاشتغال بالوظائف الحكومية[33].والجدول التالي يوضح لنا أعداد المؤلفات عند ابن شكوال حسب التخصصات العلمية :

جدول رقم (7): أعداد المؤلفات الأندلسية على ضوء ابن بشكوال.

تاريخ الوفيات / التخصصات العلمية	تراجم ابن بشكوال						
	420هـ 440هـ	440هـ 460هـ	460هـ 480هـ	480هـ 500هـ	500هـ 525هـ	525هـ 545هـ	المجموع
الحديث	3	3	16	9	28	56	115

الفقه	14	15	19	17	51	70	186
القرآن	7	6	14	20	47	73	167
التفسير	/	2	/	2	3	4	11
أصول الفقه	2	1	1	3	9	6	22
الرأي	1	1	1	1	3	9	16
الأدب	8	19	16	15	46	57	161
الشعر	3	14	14	10	22	24	87
اللغة والنحو	7	11	17	18	30	41	124
التاريخ والتراجم	1	3	/	4	5	1	14
علوم الطبيعة	4	3	2	1	8	4	22
الحساب والفرائض	3	8	3	4	9	9	36
علم الكلام	1	1	1	4	3	7	17
الزهد	5	3	2	7	10	17	44

التصوف	1	/	2	1	1	2	07
الفلسفة	/	/	/	/	1	1	02
المجموع							1031

نستشف من البيانات الواردة في الجدول أعلاه تصاعد أعداد المؤلفات الأندلسية من فترة لأخرى وهذا من خلال ما صورته لنا تراجم ابن بشكوال. نلاحظ سيطرت علوم الحديث في مجال التصنيف بـ115، يليها الفقه و أصوله بـ208، ثم علوم القرآن بـ 167. أما الدراسات اللغوية و النحو و الأدب و الشعر فأخذ حصة الأسد بـ 372.

أخذت العلوم و الرياضيات قسطا لا بأس به إذ قدرت بـ 58، في الوقت الذي سجلت فيه التراجم و التاريخ بـ 14 مؤلفا. أما مؤلفات الزهد و علم الكلام فقدرت بـ 61، تليها مؤلفات التصوف و الفلسفة بـ 9.و قدت سجلت تراجم "الصلة " بيانات وفيرة بهذا الخصوص منها: محمد بن خلف بن سعيد ابن المرابط من أهل المرية، له تأليف في شرح البخاري[34].و مطرف بن عيسى الغساني، من أهل غرناطة ألف للخليفة الحكم بن عبد الرحمن "المعارف في أخبار كورة ألبيرة و أهلها[35].و محمد بن يحيى بن قاسم من أهل قرطبة، من تآليفه: "التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس من النساء و الرجال" و " الأنبياء على أسماء اللّه"و البشرى في تأويل الرؤيا"و "الخطب و سير الخطباء"[36]،و عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد الصدفي، من أهل طليطلة، من تأليفه: "المناسك"و "الأمراض"[37].

من خلال هذه النماذج يتضح أن علماء الأندلس ألفو في كل العلوم الدينية و الدنيوية، و مما ذكرتهم التراجم التخصص العلمي دون ذكر المصنفات بأسمائها، مثل محمد بن يوسف[38]، كان مقدما في اللغة العربية، شاعرا محسنا، و له مقامات من تأليفه. تشير كثير من كتب البرامج والفهارس النقاش والتساؤلات حول الأصول الفكرية والثقافية لها،

كما تطرح أمامنا عالما نراه مختلفا، تراوحت فيه النشاطات بين مد وجزر وقوة وضعف وهبوط وارتفاع. توفي ابن بشكوال سنة 578هـ/1183م، لكن تراجمه البيوغرافية وصلت إلى غاية 564هـ/1169م،و تناقصت في السنوات الأخيرة من الكتاب،(عشرات بعد سنة 545هـ). لذلك تم الاعتماد على الفترة التي تتراوح مابين 525-545هـ/1131-1150م، لكي نحصل على كثافة من العلماء تكون قابلة للتحليل، إذ اعتمدنا على تراجم 300 عالم من مجموع : 1544 من أعلام الأندلس و16 امرأة عالمة، دون الاهتمام بالتراجم الأخرى التي تقتضي بيانات أوفر للمترجم لهم.

لكن التراجم تظل محدودة نسبيا، و هذه الإجراءات المنهجية سادت في المجالين الزماني و المكاني للأندلس لأننا إذا وظفنا جميع التراجم الموجودة "بالصلة " ، و قتها سنكون أمام صعوبة منهجية ، و بالتالي أمام بيبليوغرافيا أضخم .وعليه تم الصعود إلى مرحلة (525-545هـ/1131-1150م) لتأكيد التحليل الببليوغرافي لعمليات الاتصال الثقافي والفكري بين العلماء.

نقل لنا ابن بشكوال بصورة واضحة عناصر دورة الاتصال الوثائقي والفكري في الأندلس، عبر كم هائل من مصادر معلوماتية متنوعة، وهذا من خلال حضور رجال العلم في كافة أرجاء الأندلس (الدراسة-التعليم-الإقامة-الرحلة)، وممارسة العلماء لمختلف أصناف المعرفة (فقه-حديث-قرآن-أدب-شعر-تصوف-زهد-حساب-فلك-علم الكلام-طب).وعلى الرغم من تجانس وتطابق المعلومات التي رصدتها الصلة ما بين 420 - 545هـ، وانطلاقا مما تقدمه كتب تراجم الأندلس وبالأخص كتاب الصلة في هذا الشأن ، تطل صورة المغرب الإسلامي وهو على اتصال مستمر بما يجري في المشرق وما يروج في مجالسه العلمية من مؤلفات وقضايا ومناقشات، بل إنه بفضل رصد هذا الوجه من التأثر يبدو الأندلس وهو يساهم من جهته في العمل على ازدهار تلك الثقافات الوافدة عليه، فيؤلف بمحاذاتها ويناقش قضاياها ويقيم الشروح على أعمالها ومتونها.

لذلك كانت الترجمة في كتب طبقات الرجال في الأندلس لا تكتفي بمجرد عرض أحوال الرجال من المولد والوفاة وعرض الخبر وإنما ترصد نشاط الثقافة الأندلسية وتسير

اتجاهها، فتصمم على معرفة هذه الثقافة في وقت وفودها من المشرق، علما ورواية وتصنيفا، وكيف وفدت؟ وعلى يد من؟ وكيف كان استقبالها؟ وما ردود الفعل الجارية عليها في مجالس علماء الأندلس؟ وهي خصوصية فريدة في أعمال الترجمة في الأندلس، وبخاصة فيما تحمله لنا تراجم العلماء ممن لهم عناية بالعلم في قراءته أو إقرائه أو الرحلة إليه أو الرواية فيه، وهي الشروط التي تأسست عليها كتب الصلات الأندلسية باعتبارها أوفى التراجم وأهمها في تراث الأندلس.

الإحالات :

(1) أبو القاسم، خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن داحة بن نصر بن عبد الكريم بن وافد الخزرجي الأنصاري، القرطبي، الأندلسي محدث، حافظ، مؤرّخ، شاعر، مشارك في أنواع العلوم ولد بقرطبة في ذي الحجة من عام 494هـ/1101م، في بيئة علمية فكان جريا به وقد نشأ في جو تجذبه الحركة العلمية الأندلسية وأن تدفعه بعد السماع والرواية والتحصيل إلى التصنيف والتأليف .كان عالما بالفقه و الأصول، متكلما متبحرا في علم الكلام .وفي غمرة نشاطه العلمي تولي ابن بشكوال القضاء في جهات إشبيلية فتنامت قدراته الثقافية بلقائه المزيد من رجال الحديث والفقه والقراءة والحديث، ثم اعتزل القضاء، وعكف على الاشتغال بالعلم رواية واستماعا وتعليما، عمر طويلا وتوفي في شهر رمضان سنة 578هـ/1183م بقرطبة. لابن بشكوال تصانيف كثيرة في التاريخ والفقه والحديث والأخبار والتراجم، بلغت الخمسين مؤلفا، نذكر منها:

أ- كتاب الصلة وذيل لكتاب "تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد بن الفرضي.ب- كتاب المستغنين بالله تعالى عند المهمات والحاجات.

ج- كتاب رواة "الموطأ" لمالك أنس (ت: 179هـ/795م).د- كتاب تاريخ في أحوال الأندلس.

ينظر : ابن بشكوال، أبو القاسم خلف، الصلة في تاريخ علماء الأندلس (اعتناء و شرح: صلاح الدين الهواري)، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 1423هـ/2003م.599ص.

(2) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي، تاريخ علماء الأندلس (تحقيق: صلاح الدين الهواري)، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 1427هـ/2006م.2ج.

(3) Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition, Leiden, Brill,1965,2.T3.p.756.

(4) مثل أحمد بن محمد الأنصاري الواعظ، توفي بشرق الأندلس في نحو خمسمائة: ابن بشكوال: ترجمة: 159،ج 2،ص 75.

(5) أحمد بن قاسم بن محمد بن أصبغ البياني، محدث، توفي سنة ثلاثين و أربعمائة، ابن بشكوال، ترجمة:98، ج1، ص 54.

(6) الحسن بن حفص أبا علي، أندلسي،ابن بشكوال: ترجمة 309،ج 3،ص 125.

(7) محمد، بن عبود ،جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، تطوان: المعهد الجامعي للبحث العلمي، 1408هـ/1987م، ص 238.

(8) محمد بن جهور، رئيس قرطبة توفي معتقلا بشلطيش من قبل المعتمد على الله سنة 462هـ، و مولده سنة 391هـ، ابن بشكوال، ترجمة: 1198،ج 9، ص 429.

(9) ابن بشكوال: ترجمة:71،ج،1،ص 46.

(10) نفسه: ترجمة: 1388،ج 10،ص ص 487—488.

(11) نفسه: ترجمة: 1460،ج 10،ص 511.

(12)نفسه: ترجمة: 575،ج 5،ص 219.

(13) نفسه: ترجمة: 313،ج 3،ص 313.

(14)نفسه: ترجمة: 1206،ج 9،ص ص 431–432.

(15) ابن بشكوال: ترجمة: 1333،ج 10،ص ص 473.

(16) نفسه: ترجمة: 28،ج 1،ص ص 31.

(17) نفسه: ترجمة: 468،ج 4،ص ص ص 180–181.

(18) نفسه: ترجمة: 969،ج 7،ص 357.

(19) نفسه: ترجمة: 866،ج 7،ص ص 322–323.

(20) نفسه: ترجمة: 1281،ج 9،ص 453.

(21) بدخول المرابطين بالأندلس تم القضاء على نحلة برغواطة. و يرجع إتصال برغواطة بالأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر حيث وفد إليه رسول برغواطة أبو صالح زمور بن موسى بن هشام بن واردزين البرغواطي من قبل أمير برغواطة أبي منصور عيسى بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطي سنة 352هـ/963م، انظر : عبد العزيز، الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية(جمع و تحقيق: أحمد ميلاد و محمد إدريس)، تقديم و مراجعة: حمادي الساحلي، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي،1410هـ/1990، ص ص 146–152.

(22) ابن بشكوال: ترجمة: 417،ج 3،ص 159.

(23) يورد العالم الأندلسي أبو بكر بن عربي (ت: 543هـ/1148م)،اسم محمد ابن مسرة(ت: 319هـ/931م)، كمثال على" قوم من الضلال، كان يعتقد أنهم من الباطنية"، للمزيد راجع: أبو بكر بن عبد الله بن العربي، العواصم من القواصم

(تحقيق : عمار طالبي)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1981،ج2، ص 493. و كان محمد ابن مسرة أحد ثمانية أندلسيين ،اتهموا بالزندقة بين القرنيين الثاني و الخامس الهجريين/الثامن و الحادي عشر الميلاديين، و جاء اتهامه بالزندقة لأنه نادى بآراء المعتزلة، و لم يقد إلى المحاكمة، و صدرت ضدهم مراسيم في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث(300-350هـ/912-961م)،، و حفلت بكلمات من نوع: بدعة، هوى،فتنة،زيغ، ظلال، و إلحاد. و مع أنه تم إحراق كتبهم، إلا أنهم منحوا فرصة التوبة، التي لم تكن تتاح للمتهمين بالزندقة، انظر: سلمى الخضراء، الجيوسي، المرجع السابق، ج 2، ص ص 1249-1250.

(24) ابن بشكوال: ترجمة: 815،ج 6،ص 306.

(25) من المسلم به أن شيوخ الأندلس في الفقه و الحديث تمتعوا بمكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي، و بخاصة في عهدي الإمارة و الخلافة الأموية، فكان بنو أمية يستشيرونهم في أمور الدين و الدنيا، و من أشهر هؤلاء الشيوخ: يحيى بن يحيى الليثي(ت: 234هـ/847م)،و بقي بن مخلد(ت: 276هـ/889م)، و منذر بن سعيد البلوطي(ت: 355هـ/970). للمزيد حول شيوخ الأندلس، راجع: حسين، مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس،ط2، القاهرة: دار الرشاد، 1417هـ/1997، ص ص 59-65.

(26) ابن بشكوال: ترجمة: 1049،ج 8،ص ص 383-384.

(27) ابن بشكوال: ترجمة: 595،ج 5،ص 228.

(28) أعلن عبد الرحمن بن محمد نفسه خليفة في 316هـ/929م، وتلقب بالناصر لدين الله، وامتد عصر الخلافة في الأندلس قرنا كاملا حتى سنة 422هـ/1031م: راجع:أبو العباس أحمد المراكشي، ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس (تحقيق ومراجعة: كولان وليفي بروفنسال)، ط2، بيروت: دار الثقافة، 1400هـ/1980م، ج2، ص: 198.

(29) عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ط7، بيروت: دار القلم، 1409هـ/1989م، ص: 372.

(30) في أواخر عصر الولاة، وبداية عصر الإمارة بدأت القوّات الاسبانية تجمع نفسها، فأقامت لها إمارات صغيرة في الشمال الاسباني مستغلة سوء الأحوال في الأندلس، فظهر المارك الأسباني، وقامت إمارة النافار، وإمارة ليون، فظهرت إمارات حدودية أندلسية مقابلة لهذه الإمارات الاسبانية، تسمى بالثغور الأندلسية، وهذه الثغور ثلاثة هي:

1- الثغر الأعلى:

ويشمل في الجغرافية الأندلسية ولاية سرقسطة وأعمالها، وتعتبر سرقسطة قاعدة لهذا الثغر، ويواجه هذا الثغر إمارة النافار.و تضم المدن التالية: سرقسطة،و أشقة،و لاردة، و طرطوشة، و تطيلة، البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز،جغرافية الأندلس و أوروبا من كتاب المسالك و الممالك(تحقيق: عبد الرحمن الحجي)ط1،بيروت: دار الرشاد،1387هـ/1968،ص 61-62.

2- الثغر الأوسط:

يشمل ولاية طليطلة، وكانت قاعدته الأولى مدينة سالم ثم أصبحت مدينة طليطلة، ويواجه هذا الثغر إمارة ليون.و تشمل: طلبيرة، و مجريط،ووادي الحجارة، و إقليش.

3- الثغر الأدنى:

ويشمل المنطقة الواقعة بين نهر دويرة ونهر التاجة، ومن أشهر مدن هذا الثغر مدينة قورية ومدينة قلمرية، وأصبح مدلول مصطلح الثغور في الجغرافية الأندلسية، يعني هذه الثغور الثلاثة، ومن سكانها يطلق عليه لقب ثغري.وتأتي أهمية هذه الثغور من كونها أصبحت المراكز المهمة التي تنطلق منها الجيوش الأندلسية لمجاهدة الإمارات الإسبانية التي ظهرت في الشمال والتي أخذت تسترجع المدن الأندلسية تباعا.

للمزيد راجع:

- شكيب، أرسلان، العلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، القاهرة: 1936م، ج2، ص: 113.
- خليل إبراهيم، السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، بغداد: 1976م، ص ص: 39-40.

(31) GAUTHIER, Dalché, « Islam et chrétienté en Espagne au XII[e] siècle, contribution à l'étude de la notion de frontière », in, Hesperis, 1959, pp.183-218.

(32) كل من اشتغل بالفلسفة واتبع آراء المعتزلة، يتهم في الأندلس بالزندقة، وكان محمد بن مسرة أحد ثمانية أندلسيين اتهموا بالزندقة ما بين القرنين (2 – 5هـ/8-11م).

للمزيد راجع:ابن سهل، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس (تحقيق: محمد أحمد خلاف)، القاهرة، 1981م، ص ص: 52-38.

(33) حول هذا الموضوع ينظر: Mones, H, « Le rôle des hommes de religion dans l'histoire de l'Espagne musulmane jusqu'à la fin du califat », In studia islamica, T.XX, 1964, p.63.

(34) ابن بشكوال، ترجمة:1227،ج9،ص 436.

(35) نفسه، ترجمة:1370،ج10،ص 482.

(36) نفسه، ترجمة:1105،ج8،ص ص 398-400.

(37) نفسه، ترجمة:686،ج5،ص 258.

(38) نفسه، ترجمة:1294،ج9،ص 457.